

الإصحاح الثالث من إنجيل يوحنا ، و الإعداد ١ - ٨ كانت ومازالت موضوع نقاش وجدل بين المسيحيين ، ورغم ذلك فإن هذا الجزء من الكتاب المقدس هو من الأجزاء المهمة جدا في كلمة الله ، ولا بد كل مسيحي مخلص لنفسه من ناحية وللكتاب المقدس من ناحية أخرى أن يعرف المعنى الصحيح لكلمات الوحي الألهي ، ففي هذا الجزء تعالج أهم التعليم الكتابية وهو تعليم " **الولادة الجديدة** " التي بدونها لن يرى ولن يدخل " ملكوت الله " . نحن نرى نيقوديموس - معلم اليهود - يأتي إلى يسوع ليلا ويقول " يا معلم نعلم أنك أتيت من الله معلما لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات - المعجزات - التي أنت تعمل أن لم يكن الله معه " وتجاهل المسيح كل هذا الكلام ، وبصورة قاطعة قال له " الحق الحق أقول لك أن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله " ، وفي هذا الجزء نرى تعليم ربنا عن الولادة الجديدة ، وهو هنا يتكلم عن : أولا ، الضرورة القصوى للولادة الجديدة (٣) ثانيا ، وسيلة الولادة الجديدة " الروح " (٥) رابعا ، حتمية الولادة الجديدة : طبيعة جديدة (٦) خامسا ، الإلزام الواضح للولادة الجديدة سادسا ، طريقة الولادة الجديدة (٨) .

الولادة الجديدة في نور الكتاب المقدس

" التوضيح الوافي لتعليم الولادة الجديدة "

الدكتور القس وديع ميخائيل

أولا: الضرورة القصوى للولادة الجديدة :

آدم . " أن كان احد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله " فما معنى ملكوت الله " فما معنى ملكوت الله ؟ أن هذا التعبير لم يرد في إنجيل يوحنا إلا هذه المرة (٣ : ٣ و ٥) ، وهذا الإنجيل يتعامل مع أمور روحية ، لهذا نعتقد أن ملكوت الله " في هذه الآية له قوة أدبية ، ويبدو أن (رومية ١٤ : ١٧) تساعدنا على فهم دلالة الكلمات التي نتأملها هنا " لأن ليس ملكوت الله أكلا وشربا . بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس " .

فضلا عن ذلك أن ملكوت الله لم يكن نيقوديموس يستطيع أن يراه إلا بالولادة الجديدة ، من هذا ندرك أن " ملكوت الله " في يوحنا (٣) يشير إلى أمور الله أي أمره روحية ، وهي التي يمكن إدراكها والتمتع بها من المولودين ثانية وهم على الأرض (قارن ١ كورنثوس ٢ : ١٠ و ١٤)

وكلمة " يرى " في الأصل اليوناني تعنى " يعرف " فالمعنى المراد من كلمات المسيح الأولى لنيقوديموس يبدو هكذا " أن لم يولد الإنسان ثانية فهو لا يستطيع أن يعرف أمور الله " لذلك نرى الضرورة القصوى للولادة الجديدة . قال له نيقوديموس كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو شيخ ؟ أعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد ؟ " (٣ : ٤)

ويا له من تحرير لما قال الرب لنيقوديموس ، وهنا نجد برهانا قاطعا أن رئيس اليهود كان ينقصه تماما التمييز

وهذا واضح هنا بطرق عديدة ، وأول كل شيء أن الولادة الجديدة هي أول موضوع تكلم عنه المخلص في هذا الإنجيل - يوحنا - وفي الإصحاحين الأولين نتعلم ما " عمله " ولكن هنا في يوحنا (٣) نجد أو حديث مسجل للمسيح ، وهو ليس عن كيف ينبغي أن يعيش ، ولكن كيف يحيا الناس روحيا ، فالإنسان لا يستطيع أن يعيش قبل أن يولد ، كما أن الإنسان الميت لا يستطيع أن ينظم معشيته ، ولا يمكن لإنسان أن يعيش لله أن لم يولد ثانية ، فضرورة الولادة الجديدة إذن هنا في أن الرب يسوع بدأ بها تعاليمه التي في هذا الإنجيل ، ومن هذا ندرك أهميتها القصوى .

أيضا ضرورة الولادة الجديدة معلنة في العبارات التي تحدثت بها المسيح عنها ، وبالذات بالصورة التي بدأ بها كلامه عنها ، فقد بدأ الرب بالقول " الحق ... الحق " والتي تعنى " بالحق ... بالحق " وهذا التعبير استخدمه المسيح حين كان يتكلم عن موضوع ذي أهمية خاصة ، وتكرار كلمة " الحق " تشير إلى أن ما هو مزمع أن يقول له وزن خاص ، فلينتبه القارئ لما يأتي بعد " **الحق الحق** " والموجودة في إنجيل يوحنا فقط . فضلا عن ذلك أن المسيح يؤكد ضرورة الولادة الجديدة بقوله " **أن كان احد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله** " (٣)

فإذا كان ملكوت الله لا يرى حتى يولد الإنسان ثانية ، فنحن نرى الأهمية القصوى لهذا الاختبار بالنسبة لكل أولاد

الروحي كما كان عاجزا عن معرفة أمور الله ، فالرب قد عبر عن نفسه في عبارات بسيطة ، ومع ذلك فرئيس اليهود لم يفهم المعنى فما اصدق قول الرسول بولس " لكن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة . ثانياً: أن يعرفه إنما يحكم – يميز – فيه روحياً " (١ كو ٢ : ١٤) ، ولكي يكون للإنسان تمييز روحي لابد له أن يولد ثانية ، والى أن يحدث هذا سيبقى اعمى ، وعاجز عن رؤية أمور الله .

ثانياً : وسيلة الولادة الجديدة :

" أجب يسوع الحق الحق أقول لك أن كان احد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله " (٣ : ٥) التجديد هو الولادة من " الماء " وهذا التعبير يلقي العديد من الأفكار المتضاربة بين الطوائف المختلفة ، فالطقسيون تمسكوا به وكأنه البرهان القاطع على تعليمهم " الولادة الجديدة بالمعمودية " إلا أن هذا في الواقع يضعف قضيتهم ، وعلى أي حال من الأفضل أن نتوقف هنا لنقدم الدليل القاطع من كلمة الله على عدم صحة هذه البدعة . والمعمودية ليست أمراً جوهرياً للخلاص ، وهي ليست شرطاً إليها يطلبه الله من الخاطئ للخلاص ، وهذا واضح من عدة أمور ، أولاً : إذا كانت المعمودية ضرورية للخلاص إذن فلم يخلص احد قبل يوحنا المعمدان لأننا لو فقتنا العهد القديم من أوله

إلى آخره لما وجدنا ذكراً " للمعمودية " والله الذي لا يتغير قط ليس عنده إلا طريق واحد للخلاص منذ أن صار آدم وحواء خطاة في عدن ، وإذا كانت المعمودية ضرورية وشرط لا يمكن الاستغناء عنه لغفران الخطايا إذن فكل الذين ماتوا من أيام هابيل إلى مجيء المسيح في الجسد قد هلكوا ، وهذا سخف غير مقبول ، لان العهد القديم يعلم بغير هذا .

زد على ذلك أن كانت المعمودية ضرورية للخلاص إذن فكل مؤمن مات خلال العهد الجديد بدون المعمودية هالك أبدياً ، وهذا يغلق باب السماء في وجه اللص التائب ، وهذا غير معقول ويناقض المكتوب . وأيضا أن كانت المعمودية ضرورية للخلاص فلا بد لنا أن نتجاهل كل آية في كلمه الله تعلم أن الخلاص بالنعمة بالإيمان ودون أعمال – وانه هبة مجانية ، وليس شيئاً يشترطه الخاطئ بأعماله مهما كانت ، وإذا كانت المعمودية ضرورية للخلاص فمن العجيب أن المسيح لم يعمد أحداً (يوحنا ٤ : ٢)

لأنه جاء " ليخلص شعبه من خطاياهم " . وإذا كانت المعمودية ضرورية للخلاص فمن العجيب أيضاً أن الرسول بولس حين سأله سجان فيلبى " ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص ؟ " كان الجواب الواضح القاطع " آمن بالرب يسوع المسيح تخلص " ، وأخيراً ، إذا كانت المعمودية ضرورية للخلاص فمن العجيب كذلك أن يكتب الرسول لكنيسة كورنثوس " اشكر الله أنى لم اعمد أحداً منكم إلا

كريسبس وغيثيس لان المسيح لم يرسلنى لأعمد بل لأبشر " (١ كو ١ : ١٤ و ١٧) .

وهذا لا يعنى أن المعمودية لا مكان لها ، كلا ، فالمعمودية بعد الأمان ضرورية لإثبات طاعة المؤمن لسيدة والخضوع للخط المرسوم منه (اقرأ مرقس ١٦ : ١٦) فإذا كان التعبير " يولد من الماء " لا يشير إلى ماء المعمودية . فماذا يعنى إذن ؟ وقبل الإجابة مباشرة على هذا السؤال ينبغي أن نلاحظ كيف استخدمت كلمة " الماء " في عبارات أخرى في هذا الإنجيل – يوحنا – فقد قال المسيح للسامرية على البئر " من يشرب من الماء الذى أعطيه إنا فلن يعطش إلى الأبد بل الماء الذى أعطيته يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية " (يو ٤ : ٢)

السؤال ينبغي أن نلاحظ كيف استخدمت كلمة " ماء " في عبارات أخرى في هذا الإنجيل – يوحنا – فقد قال المسيح للسامرية على البئر " من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية " يو ٤ : ١٤ ، فهل كان هذا ماء حرفياً ؟ والجواب واضح من الكلام ذاته .

فمن الجلى أن " الماء " هنا مستخدم مجازياً ، وأيضا في (يوحنا ٧ : ٣٧ و ٣٨) نقرأ " وفى اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً أن عطش احد فليقبل إلى ويشرب . ومن آمن بي كما قال الكتاب تجرى من بطنه انهار ماء حي " ، وهنا أيضا كلمة " ماء " لا يمكن فهمها حرفياً ولكن مجازياً ، وهذه العبارات في إنجيل يوحنا تعطينا الحق في أن نقول أن معنى " الماء " في (يوحنا ٣ : ٥)

لأنه جاء " ليخلص شعبه من خطاياهم " . وإذا كانت المعمودية ضرورية للخلاص فمن العجيب أن المسيح لم يرسلنى لأعمد بل لأبشر " (١ كو ١ : ١٤ و ١٧) .

معنى مجازى . فإذا كان الرب يسوع قد استخدم كلمة " الماء " مجازياً في (يوحنا ٣ : ٥) فالى ماذا كان يشير ؟ ونجيب : كان يشير إلى كلمة الله ، وهذه كانت ومازالت دائماً الأداة المستخدمة من الله في الجديد ، وفى كل آية أخرى الأداة المستخدمة في الولادة الجديدة هي دائماً كلمة الله ، وفى (مزمو ١١٩ : ٥٠) نقرأ " لأن قولك أحيانى " . أيضا في (١ كورنثوس ٤ : ١٥) نجد الرسول يقول " أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل " ومرة أخرى نقرأ " شاء فولدنا – بماذا ؟ هل بالمعمودية ؟ كلا – بكلمة الحق

وهذا لا يعنى أن المعمودية لا مكان لها ، كلا ، فالمعمودية بعد الإيمان ضرورية لإثبات طاعة المؤمن لسيدة والخضوع للخط المرسوم منه (اقرأ مرقس ١٦ : ١٦) .

فإذا كان التعبير " يولد من الماء " لا يشير إلى ماء المعمودية . فماذا يعنى إذا ؟ وقبل الإجابة مباشرة على هذا

لكى نكون باكورة من خلانقه " يعقوب (١ : ١٨) ،
وبطرس يعلن " مولود ثانية لا من زرع فى بل مما لا يفنى
بكلمة الله أحية الباقية إلى الأبد " (١ بطرس ١ : ٢٣) .

فالولادة الجديدة إذن " بكلمة الله " واحد رموز الكلمة هو
"الماء" والله يستخدم مجازا عديدا لوصف كلمته ، فكلمة الله
مشبهة " بالسراج - المصباح " (مزمو ١١٩ : ١٠٥)

لأنها تنير ، مشبهة " بالمطرقة " (أرميا ٢٣ : ٢٩)
لأنها تحطم القلب القارى ، ومشبهة " بالماء " لأنها
تطهر : انظر (مزمو ١١٩ : ٩) يوحنا (١٥ : ٣)
أفسس (٥ : ٢٦) فالقول " يولد من الماء " يعنى يولد من
كلمة الله المنقية المطهرة .

ثالثا : منتج الولادة الجديدة :

" يولد من الماء والروح " (يوحنا ٣ : ٥) فالروح
القدس هو الذى يولد ، والكلمة هي " البذرة " (١ يوحنا ٣ :
٩) التى يستخدمها . " المولود من الجسد جسد هو
والمولود من الروح روح " (يوحنا ٣ : ٦) ، ومرة ثانية
نقرأ " الروح هو الذى يحيى . أما الجسد فلا يفيد شيئا " (
يوحنا ٦ : ٦٣) ، وليس هناك أوضح من هذا ، فلا يمكن
لخاطى أن يحيا بعيدا عن كلمة الله .

رابعا : الضرورة القصوى للولادة الجديدة :

" إن كان احد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل
ملكوت الله " (٣ : ٥) فالإنسان بميلاده الأول الطبيعى
يدخل اى هذا العالم خاطئا ولذلك فهو غريب عن الإله
المثلث الأقانيم . وغير المتجدد مظلم الفهم ، غريب عن حياة
الله بسبب الجهل الذى فيه ، وبسبب عمى قلبه ، وهذا أمر
خطير جدا ، فحين سقط آدم وحواء طردا من عدن ، وكل
أولادهم ولدوا خارج أجنة ، فالخطية تبعد الإنسان من
حضرة الله القدوس ..

وهذا الدرس تعلمه الشعب القديم : فحين نزل الله على
جبل سيناء ليعطى الناموس لموسى - الوسيط - كان الشعب
بعيدا وممنوعا من الاقتراب تحت عقاب الموت وحين جعل
الله مسكنه وسط الشعب ، جعل مقره فى قدس الأقداس
المكان الذى كان محتجا بستار ، ولم يكن مسموحا لأحد أن
يدخل داخل الحجاب سوى رئيس الكهنة ومرة واحدة فى
السنة ولا يدخل بدون دم الكفارة ، كان الإنسان إذن بعيدا عن
الله ، ومازال بعيدا فى حالته الطبيعية كما كان الابن الضال
فى الكورة البعيدة بعيدا عن منزل الأب ، وإذا لم يولد ثانية لا
يقدر أبدا أن يدخل ملكوت الله .

والترتيب المتبع من الله فى الخليقة الجديدة لا يتغير ، وهو
نفس الترتيب الذى سار فى إعادة الخليقة القديمة وفى تكوين
(١) يوجد توضيح جميل لهذا الحق ، فالعدد الأول يشير إلى
خليقة الله الأصلية ، والعدد الثانى يصف الحالة التالية بعد أن
خربت ، بين العديدين الأولين من تكوين (١) حدثت كارثة
فظيعة . وفى الغالب - سقوط الشيطان ، وتشوه عمل يدي
الله ، والترجمة الحرفية للأصل العبرى (التكوين ١ : ٢)
تقول " وأصبحت الأرض خربة وخالية ، وكن قبل ستة أيام
من خليقة آدم بدأ الله عمله فى إعادة الخليقة ، والواقع أن من
الملاذ أن نلاحظ الترتيب الذى اتبعه ، فأولا خيمت الظلمة "
على وجه الغمر " (تك ١ : ٢) ، ثانيا " كان روح الله يرف
على وجه المياه " ، ثالثا : " وقال الله ليكن نور " (تك
١ : ٣) ، رابعا " فكان نور " والترتيب هو نفسه تماما فى
الخليقة الجديدة الروحية ..

فأولا : الخاطى غير المتجدد فى ظلمة ، ظلمة الموت
الروحي .

ثانيا : الروح القدس يتحرك - يرف - على ضمير وقلب
الإنسان الذى سيحبه .

ثالثا : تنطلق كلمة الله فى قوة .

رابعا : النتيجة " نور " وينتقل الخاطى من الظلمة إلى
نور الله العجيب ، فالروح القدس إذن هو الذى ينتج الولادة
الجديدة .

" أن كان احد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن
يدخل ملكوت الله " وهذا ليس حكما جائزا ، ولكنه إعلان
لمبدأ ثابت ، فالسماة مكان مهيا لشعب مهيا ، وهذه هي
طبيعة القضية ، فالإنسان غير المتجدد الذى لا يقدر الأمور
الروحية ، والذى يتململ من حديث المؤمنين ، والذى يجد
الكتاب المقدس كتابا جافا مضجرا ، والغريب عن عرش
النعمة ، سوف يكون تعيسا جدا فى السماء ، ومثل هذا
الإنسان لا يستطيع أن يقضى الأبدية فى محضر الله ،
ولنفرض أن سمكة أخذت من الماء ، ووعت فى حوض من
ذهب ، ولنفرض أيضا إنها أحيطت بالورود والأزهار ،
وعطر الجو الذى حولها .

ولنفرض أيضا أن أنغام الموسيقى الحاملة راح يملأ
أذنيها ، فهل ستكون هذه السمكة سعيدة وقانعة ؟ بالطبع لا ،
ولماذا لا ؟ لأنها غير منسجمة مع المحيط الذى حولها ،
ولأنها ينقصها القدرة على التمتع بما يحيط بها ، هكذا يكون
الحال مع إنسان غير متجدد فى السماء .

وأيا ، أيضا ، الولادة الجديدة ضرورة قصوى لان الإنسان
الطبيعى خال بالكلية من الحياة الروحية ، هذا ليس لأنه
جاهل ويحتاج إلى إرشاد ، وليس لأنه ضعيف ويحتاج إلى
قوة ، وليس لأنه مريض ويحتاج إلى طبيب ، أن حالته أو
بكتير ، فهو ميت بالذنوب والخطايا ، وهذا ليس محسنات
لفظية ، ولكنها الحقيقة المجردة التى لا يدركه الكثيرون ،

يشوبها شائبة ، وان له سيطرة قوية على لسانه حتى انه لا يخطئ بشفتيه ، فما هو نفع كل هذا بينما له قلب – كما يقول الله نفسه – " اخذع من كل شيء وهو نجيس ؟ "

فالولادة الجديدة شيء أكثر كثيرا من الإصلاح. وآخرون يفترضون أن معنى الولادة الجديدة هو التدين . وحين تخبر الإنسان المتردد على الكنيسة " أن لم تولد ثانية لن تقدر أن ترى ملكوت الله " ستجد أن هذه الكلمات بالنسبة له لا تعنى شيئا ، وهو يعيش مرتاحا لأنه يتخيل انه قد ولد ثانية ، وسوف يقول لك انه مؤمن دائما ، فهو يحضر الكنيسة بانتظام ، بل انه عضو فى الكنيسة ، ويساعد باستمرار فى سبيل نر الإنجيل ، فهو متدين جدا ، وهو يحس بين الوقت والآخر بإحساس طيب ، وهو يصلى بانتظام ، وفى أيام الأحاد يقرأ كتابه المقدس ، فما الذى تطلبه منه أكثر من هذا ؟ وإذا قرأ واحد من هؤلاء هذه الكلمات فليقف ويزن بجد حقيقة أن الرب يسوع كان يخاطب احد كبار المتدينين حين قال " أن كان احد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله "

ونيقوديموس لم يكن أنساناً متدينا فحسب ، ولكنه كان أيضا معلما ، ومع ذلك كان هو الذى قال له المسيح " لا تتعجب أى قلت لك ينبغى أن تولد من فوق "

١٤

١٤) " اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكى تصيروا شركاء الطبيعة الإلهية " ومن القوانين الأساسية ف الحياة أن كل شبيه ينتج شبيهه أو كما نقول " كل إناء ينضح ما فيه " وهذا المبدأ الثابت متكرر بشكل ملحوظ فى الإصحاح الأول من سفر التكوين ، وهناك نقراً " فأخرجت الأرض عشبا وبقلا يبرز بذراً كجنسه وشجرا يعمل ثمرا بزره فيه كجنسه " (١ : ١٢)

ومرة أخرى نقرا " فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التى فاضت بها المياه كأجناسها. وكل طائر ذى جناح كجنسه " (١ : ٢١)

والملحدين المساكين وأصحاب نظرية الارتقاء هم الذين يؤكدون أن فصيلة واحدة للمخلوقات هى التى أنتجت فصيلة مختلفة تماما عنها ، وهذا غر صحيح ، فالناتج من البقول بقول ، والناتج من الحيوان حيوان ، والمولود من الإنسان الخاطئ هو طفل خاطئ ، والشجرة الرديئة لا تنتج أثمار جيدة ، لذلك " المولود من الجسد جسد هو " ، ولا يمكن أن يكون شيئا آخر ، ويمكنك أن تتقف وتعلم المولود من الجسد ولكنه يستمر جسدا والمياه لا ترتفع عن مصدرها ، كما لا يمكن لينبوع مر أن يجرى مياها عذبة ، فالمولود من الجسد جسد هو ، ويمكن أن يكون جسا مهذبا ، أو جسدا جميلا ، أو حتى جسدا متدينا ، ولكنه يستمر " جسداً " ومن الناحية الأخرى " المولود من الروح هو روح " ، والمولود دائما

١٥

فالخاطئ ميت روحيا ويحتاج اى حياة ، فهو جثة هامدة روحيا ويحتاج أن ينتقل من الموت إلى الحياة ، وهو عضو من الخليقة العتيقة التى تحت لعنة الله ، وان لم يصير خليقة جديدة فى المسيح سيستمر تحت اللعنة طول الأبدية ، فما يحتاجه الإنسان الطبيعى قبل اى شيء هو الحياة الأبدية ، فما يحتاجه الإنسان الطبيعى قبل اى شيء هو الحياة الإلهية ، وحيث أن الولادة هى بوابة الحياة فلا بد أن يولد ثانية ، وان لم يولد ثانية لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . وهذا نهائى.

خامسا : ماهية الولادة الجديدة :

لكن ، ما هى الولادة الجديدة : وبالتحديد ما هو وجه الاختلاف بين إنسان ميت بالخطيئة وآخر قد انتقل من الموت إلى الحياة ؟ وفى هذه النقطة يوجد الكثير من الجهل والبلبلية ، فحين تقول لشخص ينبغى أن تولد ثانية فهو يظن انك تعنى انه ينبغى أن تولد ثانية فهو يظن انك تعنى انه ينبغى أن يصلح حاله ، ويهذب حياته ، أو يقلب صفحة جديدة ، ولكن الإصلاح يتصل فقط بالحياة الخارجية ، ومشكلة الإنسان هى الداخل ، ولنفرض أن زنبرك ساعتى قد انكسر ، فما المنفعة إذا أنا وضعت زجاجة جديدة ، وقمت بتلميع الساعة حتى أتمكن من رؤية وجهى على سطحها البراق ؟ لا منفعة بالمره ، لأن أصل المشكلة هو داخل الساعة ، هكذا الحال مع الخاطئ ولنفرض أن أخلاقه لا تلام . وان تصرفاته لا

١٦

ويوجد أيضا آخرون يعتقدون أن الولادة الجديدة هى تغيير فى القلب ، ومن الصعب جدا تقنعهم بالعكس فقد سمعوا وعاضا كثيرين من الوعاظ الكتابيين يتكلمون عن تغيير القلب حتى أنهم لم يفكروا أبدا فى فهم هذا التعبير وبعده عن الكتاب المقدس ، ويمكن للإنسان أن يفتش الكتاب من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا ولن يجد أبدا تعبير " تغيير القلب " على صفحة من صفحاته ، والمحزن ليس فقط أن " تغيير القلب " ليس أمرا كتابيا ولكنه فى الواقع ضد الكتاب وغير حقيقى ، ولذلك يضل الكثيرين ، والإنسان المولود ثانية ليس فيه تغيير القلب ولكن تغيير الحياة من الداخل ومن الخارج ، فالمولود ثانية يحب الأشياء التى كان يحبها ، وبالتالي فكل سلوك حياته يتأثر ، ويبقى – رغم هذا – قلبه القديم الذى هو " أخذع من كل شيء وهو نجيس " يبقى فيه دون تغيير والى نهاية الحياة.

فما هى إذن الولادة الجديدة؟

إن الولادة الجديدة ليست محو اى شيء من الخاطئ ، وليست هى تغيير اى شيء فى الخاطئ ، ولكنها إدخال شيء إلى الخاطئ ، فالولادة الجديدة هى وضع خليقة جديدة فى الإنسان ، فحين ولدت فى المرة الأولى من أبوى أخذت منهما طبيعتهما ، وهكذا حين أولد ثانية اقبل من الله طبيعته ، فروح الله يلد قينا طبيعة روحية كما نقراً فى (٢ بطرس ١ :

١٧

يأخذ من طبيعة والديه ، والمولود من الإنسان هو بشرى ، والمولود من الله هو الهى ، والمولود من الإنسان خاطئ والمولود من الله روى .

هذه هي الولادة الجديدة ، فهي ليست إصلاحا للإنسان الخارجى ، وليست تثقيفا للإنسان الطبيعى ، وليس تنقية للإنسان العتيق ولكنها خلق إنسان جديد، إنها ولادة إلهية (يعقوب ١ : ١٨) إنها ولادة من الروح (يوحنا ٣ : ٦) إنها جعل الإنسان خليفة جديدة (٢ كورنثوس ٥ : ١٧) وبها تصبح شريكا للطبيعة الإلهية (٢ بطرس ١ : ٤) إنها ولادة فى العائلة الإلهية ، وكل إنسان اختبر الولادة الجديدة فيه طبيعتان – بعكس الخاطئ الذى فيه طبيعة والأخرى روحية ، وهاتان الطبيعتان متعارضتان الواحدة مع الأخرى (اقرأ غلاطية ٥ : ١٧)

ولذلك فهناك حرب دائما لا تتوقف تدور فى المؤمن ، ونعمة الله فقط هي التى تستطيع أن تخضع الطبيعة العتيقة ، وكلمة الله وحده هي التى تعزى الطبيعة الجديدة .

سادسا : الحتمية الواضحة للولادة الجديدة :

" لا تتعجب أنى قلت لك ينبغى أن تولد من فوق – ثانية " (يو ٣ : ٧)

أراد أن يدخل إلى مملكة الفن ، وليس فى هذا ما " تتعجب " له ، فهو أمر واضح وقاعدة بديهية ، هكذا الأمر ، فالإنسان ينبغى أن يمتلك طبيعة روحية قبل أن يتمكن من الدخول إلى العالم الروحى ، وينبغى أن يكون للإنسان طبيعة الله قبل أن يقدر على الدخول إلى ملكوت الله ، لذلك " لا تتعجب ... ينبغى أن تولد من فوق " .

سابعا " عملية الولادة الجديدة :

" الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها كك لا تعلم من أين تأتى ولا إلى أين تذهب . هكذا كل من ولد من الروح " (يوحنا ٣ : ٨)

وهنا نجد مقارنة بين الريح والروح ، وهذه المقارنة مزدوجة ، فأولا ، كليهما حر فى نشاطاته ، وثانيا ، كليهما خفى فى عملياته ، والمقارنة واضحة فى كلمة " هكذا " والنقطة الأولى فى المجاز نجدها فى الكلمتين " حيث تشاء " ، والثانية نجدها فى الكلمتين " لا تعلم " . " والريح تهب حيث تشاء ... هكذا كل من ولد من الروح " والريح غير مسؤولة أى إنها صاحبة سلطان فى تصرفاتها ، والريح عنصر لا سلطان لإنسان عليه ، فالريح لا تستشير ولا تبحث عن رضا الإنسان ، كما لا يمكن السيطرة عليها باختراعاته ، هكذا الحال مع الروح ، فالروح تهب حيث تشاء ، حين

ومما لا شك فيه أن نيقوديموس دهش ، والصيغة المؤكدة التى تحدث بها يسوع جعلته يهتز عجبا ، فالضرورة القصوى والحتمية الواضحة للولادة الجديدة كانت أمورا لم تدرب ضميره أو تشغل انتباهه ، وتعجب من الإعلان الحاسم الغامض الذى نطق به الرب يسوع ، وما كان يجب أن يكون هذا رد فعله ، نعم ، لم يكن هناك سبب يجعله يقف مشدوها مغفور الفم ، قال المسيح " لا تتعجب " وكأن الرب قد قال " يا نيقوديموس أنا ما قلت لك ينبغى أن يكون واضحا ، فإذا كان الإنسان خاطئا ، وبسبب الخطية هو اعمى فيما يتصل بالأمور الإلهية ، وإذا كانت الثقافة الدينية – مهما كان مقدرها – لا تستطيع أن تغير الطبيعة الإنسانية ، إذن فمن الواضح أن حاجته القصوى هو أن يولد ثانية ، فلا تتعجب ، فهذه حقيقة واضحة جدا " .

والدخول إلى ملكوت الله وسيلته الوحيدة هو الولادة الجديدة ، أى قبول الطبيعة الأهمية ، وهذا إتباع لمبدأ أساسى فى كل ملكوت – مملكة – ولنفرض أن لى ابنا وارغب أن يكون رساما ، فأسلمه لأستاذ كفاء فى الرسم لكى يعطيه دروسا فى هذا الفن ، ويدرس قانون خلط الألوان ، ويذهب إلى معارض الرسامين المشهورين ليتأمل وحاتهم الجميلة ، فما هى النتيجة ؟ هل يصير رساما موهوبا ؟ أن الأمر يعتمد على شيء واحد أن يولد بطبيعة فنانة ، والرسامون يولدون ولا يصنعون ، ولندع هذا المثل يكفى لتوضيح هذا المبدأ الجوهرى ، فالإنسان لا بد أن يمتلك طبيعة موسيقية إذا

تشاء ، كما تشاء ، هكذا الأمر مع الروح . أيضا ، الريح لا تقاوم ، فحين تهب الريح فى قوتها فهى تجرف كل ما يقف فى طريقها ، والذين يقرأون عن الكوارث التى تخلفها الرياح العاصفة يعرفون مدى قوتها وجبروتها ، هكذا الحال مع الروح ، حين يأتى فى ملء قوته فهو يحطم كبرياء الإنسان ، ويخضع تمرده ، وينتصر على كل معارضة .

أيضا ، الريح غير نظامى أى تعوزها الاستمرارية فى حال واحد ، فأحيانا تكون الريح هادئة وناعمة ، وفى أحيان أخرى تعصف بشدة حتى يمكن سماع زفيرها على بعد أميال هكذا الحال مع الولادة الجديدة ، فمع البعض يعمل الروح الدس بهدوء غير مدرك من الآخرين ، ومع البعض يكون عمله قويا وثوريا ويرى علمه الكثيرون – كما فى خلاص شاول فى طريق دمشق – وأحيانا تكون الريح محدودة المساحة ، وفى أحيان تكون منتشرة لمسافات غير معروفة ، هكذا الأمر مع الروح ، فهو اليوم يعمل فى نفس أو نفسين ، وفى الغد يمكن – كما حدث يوم الخمسين – أن ينخس الأف القلوب ، ولكن سواء عمل فى القليلين أو الكثيرين فهو لا يستشير أنسانا ، ويعمل كما يشاء .

أيضا الريح خفية ، وهى من الأشياء الخفية القليلة فى الطبيعة ، فحنى نستطيع أن نرى المطر والتلج والبرق ، ولكننا لا نرى الريح ، والمجاز يتمشى تماما مع الروح ، فشخص الروح القدس لا يرى .

كذلك الريح غامضة ، ففي الريح شيء يتحدى كل الجهود البشرى فى الشرح ، فأصلها ، وطبيعتها ، ونشاطاتها كلها بعيدة عن متناول شرح الإنسان فلا احد يعرف من أين تأتى أو إلى أين تذهب ، هكذا الحال مع نشاطات الروح القدس ، فعملياته تتم فى سرية ، وأعماله عميقة الخفاء .

وكذلك الريح لا غنى عنها ، فلو أن اجو سادة الهدوء الدائم فكل المزروعات تموت ، ونحن سرعان ما يصيبنا الضيق لو لم توجد الريح وخاصة إذا استمر عدم وجودها ، ويزيد الأمر مع الروح فبدونه لا توجد حياة روحية على الإطلاق .

وأخيرا الريح منعشة ، وأهمية الريح واضحة فى أن الطبيب يطلب من مريضه فى مرات كثيرة أن يذهب الى الجبال أو إلى شاطئ البحر ، هكذا الحال مع الروح ، فهو الذى يقوى بالقدرة فى الإنسان الباطن ، وهو الذى ينشط وينعش ، ويشدد .

وما أدق المجاز الذى استخدمه المسيح فى هذه المناسبة ، وما أكثر الأفكار التى توحىها كلمه " ريح " وليكن ما قيل فى هذه المقالة نموذجا تحتذيه فى التأمل الطويل فى كل كلمة من كلام الله المقدس . لقد القى الله ستارا كثيفا على بدايات وتطورات الحياة ، فنحن نعيش الآن وكن كيف نعيش فهذا ما

نعجز عن قوله ، والحياة واضحة للضمير ، وظاهرة للحواس ، ولكنها خفية وسرية فى عملياتها ، هكذا الحال مع الحياة الجديدة المولودة من الروح ، ولكى نجمل تعليم هذه الآية " الريح تهب حيث تشاء " فهذه حقيقة ، " وتسمع صوتها " وهذا برهان الحقيقة ، " لكنك لا تعرف من أين " وهذا هو السر وراء الحقيقة ، فالمولود ثانية يعرف أن له حياة جديدة ، ويتمتع بدلائلها ، ولكن كيف يعمل الروح القدس فى النفس ، ويخضع الإرادة ، ويخلق الحياة الجديدة داخلنا ، فهذا يتصل بأمر الله العميقة .

فإن اختبرت الولادة الجديدة بحق وبصورة جذرية ، فاحص نفسك فى ضوء المكتوب وصلى إلى الروح القدس ليعلن لك حقيقة ذاتك .

وإذا كنت بعد قراءة هذا الكلام قد عزمت بنعمة الله وقوته أن تسلم حياتكم للمسيح ، وتطلب من الرب أن تولد من الروح لتصير واحدا من العائلة الإلهية ، فاكتب لنا لنفرح معك ، ونصلى لأجلك .